

المقدمة

من منا يتخيل أو يخطر بباله أن هناك طفلاً صغيراً يتألم نفسياً لدرجة أنه قد يُقْبَلُ على الانتحار!

من منا يتخيل أو يخطر بباله أن هناك طفلاً صغيراً يعاني من الأرق ويجافيه النوم من شدة مخاوفه وهو أجسه التي تطارده وتداهمه في أحلام مرعبة!

من منا يتخيل أو يخطر بباله أن هناك طفلاً صغيراً يفقد شهيته وينحل جسده ويستيقظ من نومه صارخاً فزعاً لأنه يعاني آلاماً نفسية لا يستطيع تحديد ماهيتها.

من منا يتخيل أو يخطر بباله أن طفله الذي يصاب بالتبول أو التبرز اللاإرادي طفل معذب ويعاني الأمرين من داخله.

من منا يتخيل أو يخطر بباله أن طفله الذي يتلعثم في الكلام دون سبب واضح، أنه طفل يعاني نفسياً ولا يستطيع أن يفصح عما يعانيه.

من منا يتخيل أو يخطر بباله أن ما يتباب طفله من حركات جسدية لا إرادية ولا يستطيع التحكم فيها، إنها نتيجة معاناته وتعاسته وسوء حالته النفسية.

من منا يتخيل أو يخطر بباله أن حالة طفله النفسية قد تتدهور فيضطرب سلوكه حتى أنه يكذب أو يسرق أو يهرب من المدرسة أو البيت، وقد يصبح عدوانياً مخرباً.

للأسف الشديد المشكلة التي نواجهها خطيرة، لأن معظمنا لا يتخيل أن طفله يمكن أن يصاب بأي من الأمراض النفسية المعروفة مثله مثل الكبار تماماً كالاكتئاب والقلق والانفصام... إلخ.

والمشكلة الأكبر والأكثر خطورة أن الطفل لا يستطيع أن يعبر عما بداخله - أي عن مكونات نفسه - فلا يمكنه أن يصف ألمه أو ما يشعر به،

ولكن معاناته تأخذ أشكالاً مختلفة أخرى في التعبير، كفقدته شهيته للطعام أو اضطراب نومه مثلاً أو انطوائه وابتعاده عن الآخرين... إلى ما لا نهاية .

وتلك الأعراض التي تظهر على الطفل تعنى أنه غير سعيد ويحتاج لمساعدة متخصصة، فطب نفس الأطفال Child Psychiatry آفاقه واسعة ويمكن لمتخصصيه بالفعل مساعدة الطفل على اجتياز أى عرض، وخاصة لو فطنت له الأسرة وكان في بدايته.

ولذا علينا إذا لاحظنا تدهوراً في حالة الطفل النفسية، أو رأينا أنه يعاني بشدة دون سبب واضح أن نتوجه لطبيب نفسى فوراً، لأن التأجيل والتجاهل ربما يضره ويؤدي لتدهور حالته أكثر.. وخاصة أن المعاناة النفسية للطفل قد تعوقه عن النمو والتفاعل الطبيعي مع المحيطين.

وأولى المآسى التي قد نواجهها مع الطفل هي إحساسه بالوحدة، وبأنه منبوذ في حالة هجرة أصدقائه له وانطلاقهم لألعابهم ومرحهم بعيداً عنه.

والطامة الكبرى التي يتدهور الطفل بالفعل من جرائها هي إهمال والديه له أو قسوتها عليه بسبب ما أصابه - بالطبع يحدث هذا دون فطنتها لما أصابه - فقد يعاقبه على إهماله أو تدهوره في دراسته أو عنفه وما إلى ذلك، دون أن يبحث عن السبب!

ولكن ماذا لو أدركا السبب بالفعل!؟

لو أدركا السبب بالفعل، وعرفا ما يعانيه طفلها، وقررا أن يتجها لمتخصص نفسى ستواجهها مشكلة أخرى وهي كيفية فحص الطفل وخاصة أن فحصه من متخصص يعتبر أمراً صعباً جداً.

ولهذا، فالملاحظة له من أهم سبل علاجه.. الملاحظة عن بعد والحديث معه بشكل عام وغير مباشر.. وأن يستطيع الطبيب أن ينشئ علاقة حب ومودة بينهما أولاً.

وحتى لا نحتار في أمر أطفالنا وإذا كانوا يعانون نفسياً أم لا.. لا بد عند ملاحظتنا للطفل الذي يواجه إحدى المشاكل النفسية أن نبحث في إطار

الأسرة والمدرسة، وأيضاً الأصدقاء الذين يلعبون معه، ولن تخرج معاناته عن هذه الأطر.

فالطفل عالمه محدود وأعراض الاضطراب النفسى مثلها مثل أعراض الاضطرابات العضوية، فهي بمثابة السخونة التى نلاحظها حينما يعانى مرضاً عضوياً، وحينها نبحث عن الجزء المريض ونعالجه.

وهكذا تلك الأعراض قد تلفت أنظارنا إلى أن هناك شيئاً خاطئاً أو أمراً غريباً يحدث للطفل لا بد من البحث عنه لعلاجه.

وما يجب أن نعيه ونعرفه جيداً أن الطفل لا يعانى هكذا من تلقاء نفسه، ولا بد من وجود أسباب خارجية تؤثر عليه وفيه دون أن ندري، ولذا سنتناول تلك الأسباب التى قد تؤثر على نفسية أطفالنا وتعرضهم للألم النفسى والمعاناة بالشرح والإيضاح حتى نستطيع تجنبها ونوجههم الوجهة الصحيحة.

وقبل أن أبدأ فى سرد فصول كتابى لا بد أن أتوجه بالشكر إلى الدكتور/ أجد العجرودى الطبيب النفسى الذى شرفنى بمراجعة موضوعات كتابى طبياً ونفسياً.. وله منى جزيل الشكر على مساهمته فى هذا.

والله ولى التوفيق ، ،

مهجة زايد